منهج أنور الجندي
في دراسة الشخصيات الأدبية

Curriculum Anwar al-Jundi Methodology
in the Study of Literary Figures

أ.م.د. أحمد عبد الرزاق خليل
Asst. Prof.Dr. Ahmed Abdul- Razzaq Khalil
مكان العمل: الجامعة العراقية - كلية الآداب
Workplace: University of Iraq
College of Arts
Ahmedalabod75@gmail.com
07703038875

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تقديم قراءة نقدية تحليلية في المنهج النقدي الذي تبناه أنور الجندي في دراسة الشخصيات الأدبية، والكشف عن الأسس الفكرية والنقدية التي انطلق منها في قراءة الأعلام وأدبهم، وكيف وظفه لخدمة مشروع النهضة الحضاري الإسلامي.

وانتظم عقد البحث – بحسب مقتضاه - من مقدمة ومطلبين يسبقهما تمهيد ويعقبهما خاتمة، عرضت في التمهيد أهمية التراجم الأدبية في فهم حركة الأدب والفكر، وخصصت المطلب الأول لملامح المنهج النقدي في دراسة الشخصية الأدبية عند الجندي، أما المطلب الثاني فتناولت موقف الجندي من الأدباء (نماذج تطبيقية)، وأخيراً جاءت الخاتمة بأهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

Abstract:

The present study seeks to provide a critical and analytical reading of the methodology adopted by Anwar al-Jundi in his study of literary figures. It aims to uncover the intellectual and critical foundations upon which he based his readings of prominent writers and their works, and to demonstrate how he employed these foundations in support of the project of the Islamic civilizational renaissance.

Structurally, the research consists of an introduction, two main sections preceded by a prefatory overview, and followed by a conclusion. The prelude discusses the importance of literary biographies in understanding the development of literature and thought. The first section is devoted to identifying the features of al-Jundi's critical methodology in the study of literary personalities, while the second section examines al-Jundi's position toward writers through selected applied models. Finally, the conclusion presents the most significant findings of the study.

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الأمين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد.

فقد حظيت الشخصيات الأدبية في عصرنا الحديث باهتمام كبير من الدراسة والتعريف والتتبع، إذ نهجت تلك الدراسات مناهج شتى في دراسة السيرة الذاتية للشخصية المترجم لها، معتمدة على الذوق والثقافة والمعايير النقدية.

ومن أشهر الكتب والموسوعات في تراجم الشخصيات بشكل عام، والأدبية بشكل خاص، كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، وكتاب معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ومعجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة لإميل يعقوب، ومعجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٤ لكامل سلمان الجبوري، ومعجم المؤلفين المعاصرين لمحمد خير رمضان يوسف، وغيرها كثير لا يمكن حصرها في هذه الدراسة.

وتعد مؤلفات أنور الجندي في دراسة سير الأعلام والأدباء والعلماء والمفكرين من أهم أدوات التأريخ لحركة الأدب والفكر العربي والإسلامي، ورصد التحولات الثقافية والاجتماعية للشخصيات، وقراءة تحليلية نقدية كاشفة عن الاتجاهات الفكرية الثقافية الكبرى التي حكمت مسيرة الأدب العربي الحديث، إذ يأتي ناقدنا الجندي في مقدمة الكتّاب الذين سخروا هذا الفن لخدمة مشروع النهضة الحضاري، ومؤلفاته من أهم الموسوعات الأدبية والتاريخية والفكرية في العصر الحديث، إذ تعرّض فيها لعدد كبير من الكتّاب والشعراء والمفكرين العرب، وأطلق على مشروعه الكبير في دراسة ألف شخصية بـ(الأعلام الألف).

وقد عرّف الجندي بشخصيات مهمة في الحياة الأدبية أدت دوراً محورياً في حركة الفكر والأدب والنقد العربي الحديث، وحين يتحدث عن تلك الشخصيات ويترجم لها من طريق دراسة آثارهم التي تركوها يقدمها عن فهم شامل، ومعرفة عالم بصفات تلك الشخصية من الناحية التاريخية والنفسية والاجتماعية.

ولوضوح الرؤية الفكرية عند الجندي لمشكلة التغريب الثقافي تخصص في كتاباته بالدفاع عن العربي، والتركيز على الهوية الحضارية والأصالة الإسلامية، إذ هو يقدّم صياغة واضحة وحقيقية للشخصيات، ودراسة واعية وواقعية للأعلام على وفق التصور الإسلامي.

انتظم عقد البحث – بحسب مقتضاه – من مقدمة ومطلبين يسبقهما تمهيد ويعقبهما خاتمة، عرضت في التمهيد أهمية التراجم الأدبية في فهم حركة الأدب والفكر، وخصصت المطلب الأول لملامح المنهج النقدي في دراسة الشخصية الأدبية عند الجندي، أما المطلب الثاني فتناولت موقف الجندي من الأدباء (نماذج تطبيقية)، وأخيراً جاءت الخاتمة بأهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

التمهيد: أهمية التراجم الأدبية في فهم حركة الأدب والفكر

مما يحسن الإشارة إليه أن منهج التعريف بالشخصية الأدبية في تراثنا العربي كان منهجا شائعا بين الأدباء والكتّاب والعلماء، وقد ساروا في هذا المنهج على طريقة المُحَدِّثين في التعريف بالأعلام وتوثيقهم وتضعيفهم، ولعل من أقدم المؤلفات الأدبية في تراجم الشعراء والأدباء – التي تناولت حياتهم وثقافتهم ورحلاتهم وأهم مواقفهم التي اشتهروا بها – كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (ت: ٢٣١هـ)، والشعر والشعراء لابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦هـ)، ويتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩ه)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، ووفيات الأعيان لابن خلِّكان (ت: ٦٨١هـ)، وغيرها من الكتب والمؤلفات المعروفة في تراثنا العربي.

وعلى وفق ما أشرنا إليه من مصادر تراثية في تراجم الشخصيات، ننقل ما رصده الأستاذ أحمد أمين من طرق التأليف عند القدماء فقال: ((وأكثر الذي نعرفه من ضروب التأليف القديم في الأدب نوعان: نوع أسس على تراجم الرجال كالأغاني ومعجم الأدباء وطبقات الشعراء ويتيمة الدهر، ونوع أسس على المختار من المنظوم والمنثور، كالذي ذهب إليه الجاحظ في البيان والتبيين والكامل للمبرد، والعقد الفريد لابن عبد ربه. فأما نظرة عامة في الأدب عامة، أو فرع من فروع الأدب – كالشعر والخطابة – وتحليله تحليلا عميقا مفصلا، فذلك ضرب لا نعلم أن الأقدمين وصلوا إليه. والحق أنهم تركوا لنا شيئا غُفْلا يصح أن يستفاد منه بمهارة الصنعة، وإجادة الفن، ولم يخلقوا لنا شيئا ناضجا يحسن الوقوف عليه)).[1]

وفي موضع آخر يذكر أحمد أمين أن للأدباء القدامى اتجاهات مختلفة في دراسة الشخصيات؛ فمنهم من ترجم لكل شخص بما تميز به من مميزات، كما فعل ابن خلِّكان (ت: ٦٨١هـ) في وفيات الأعيان، فقد ترجم لكل عين، من (أولي النباهة)، فترجم للفقيه والمتصوف والشاعر

(١) فيض الخاطر: ٢/ ١٦٥

والأديب والنحوي واللغوي والولي والمشعوذ. ومنهم من اقتصر على طائفة خاصة من الشخصيات، فقد ترجموا للأدباء أو الشعراء أو النحاة خاصة كما فعل ياقوت الحموي في معجم الأدباء، وابن قتيبة في الشعر والشعراء، وابن سلام في طبقات فحول الشعراء، والسيوطي في بغية الوعاة في تراجم النحاة، ومنهم من اقتصر على تراجم الأدباء في عصر خاص كما فعل الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر.(١)

وتكمن أهمية السير الذاتية للشخصيات الأدبية في تراثنا لأنها تتناول جانباً مهماً من الأدب العربي عامراً بالحيوية والحياة، نابضاً بالقوة والتطور، وهذا اللون من الدراسة يصل أدبنا بتاريخ الحضارة العربية، وتيار الفكر العربي والنفسية العربية، لأنه صورة للتجربة الصادقة الحية التي اخذنا نتلمس مظاهرها المختلفة في أدبنا العربي.(٢)

أما التراجم الأدبية في العصر الحديث فقد تنوعت مناهجها، وتعددت اتجاهاتها، وقلَّ من الأدباء والنقاد من لم يترجم لشاعر أو كاتب أو خطيب، فمن الكتّاب من سار على المنهج السردي التقليدي الذي يعتمد سرد السيرة الشخصية من مولدها إلى مماتها مع رصد الأحداث والوقائع في حياد وموضوعية، ومن الكتّاب من سار على المنهج التاريخي وتناول الشخصية الأدبية كأثر من آثار العصر، ومنهم من أخذ بالمنهج الفني وسلط الضوء على إبداع الشخصية أكثر من حياته، ومنهم من أخذ بالمنهج النفسي وحلل أثرها على الشخصية.(٣)

وتمثل دراسة سير الأعلام الأدبية والفكرية مساحة واسعة في مؤلفات الناقد أنور الجندي(٤)، فقد استطاع بمؤلفاته وموسوعاته الأدبية أن يتعرّض لعدد كبير من الأدباء والشعراء والعلماء والمفكرين، إذ أطلق على مشروعه الكبير في دراسة ألف شخصية بـ(الأعلام الألف)، وقد أصدر كتابه الموسوعي في أعلام العصر الحديث تحت عنوان(أعلام القرن الرابع عشر الهجري) في أربعة مجلدات، هي: ١- أعلام الدعوة والفكر. ٢-تراجم الأعلام المعاصرين.٣-أعلام وأصحاب أقلام.٤-أعيان البيان واللغة، ولم يتوقف عمله في التراجم فقد أعدَّ دراسات موسعة لبعض الأعلام مثل: أحمد زكي باشا الملقب شيخ العروبة، ومحمد فريد وجدي، وعبد العزيز الثعالبي، وعبد

(١) ينظر: فيض الخاطر: ٢/ ١٦٧ - ١٦٨
(٢) ينظر: فن السيرة: إحسان عباس: ٥
(٣) ينظر: منهج العقاد في التراجم الأدبية: جابر قميحة: ٣١
(٤) أحمد أنور سيد أحمد الجندي أديب وصحفي ومفكر إسلامي مصري ولد سنة ١٩١٧م في مدينة أسيوط بصعيد مصر، له أكثر من ٢٠٠ كتاب في مختلف التخصصات العربية والإسلامية، تخصص في الرد على التغريب الفكري والثقافي، وتراجم الأعلام، توفي سنة ٢٠٠٢م. ينظر كتابه: شهادة العصر والتاريخ: ٩، الزاهد أنور الجندي حياته - أدبه – فكره، د. حلمي محمد القاعود: ١٦

العزيز جاويش، وغيرهم كما أصدر كتاباً بعنوان(مصابيح التراث والعصر)، ويبدو أنه كان يعد لترجمات أخرى كثيرة لم يسعفه الوقت بإنجازها، وكانت هذه الدراسات التعريفية بالأعلام ضرورية لمواجهة الحملة التغريبية الخطيرة ضد التراث العربي والإسلامي [١].

ويرى د. عبده بدوي أن هناك ظاهرة لم يعرف أنور الجندي إلا من طريقها وهي ظاهرة الكتابة عن الأعلام والشخصيات، وأن جهوده في هذه الظاهرة تنتمي إلى منهج الكتَّاب الموسوعيين، إذ يقدم تراجم مستوفاة للكثير من الأدباء والمفكرين، فهو يذكرني بجيل الكتَّاب الموسوعيين من العرب الذين كانوا لا يظهرون بوضوح إلا عقب كل انكسار في الحضارة العربية، فقد كان جهدهم أن يعطوا الثقة في المستقبل وفي الحياة.[٢]

ويؤكد الجندي أن الأدب جزء لا يتجزأ من مشروع النهضة الحضاري، ولذا كان يدرس الشخصيات الأدبية من طريق علاقتها بهوية الأمة واللغة والدين، وعلى هذا الأساس يصرح بهدفه الأول وهو إحياء جانب القوة والبطولة في تراثنا العربي والإسلامي فيقول:((فإنني مضيت إلى العمل الأكثر إلحاحا وهو إعزاز موهبة الكتابة وتعميقها وتوجيهها إلى خدمة الهدف الإسلامي الأول في تقديري، وهو إحياء جوانب القوة والبطولة في تاريخنا وتراثنا العربي والإسلامي منذ فجر الإسلام وإلى العصر الحديث، واخترت ميدانين أساسيين في هذا المجال، هما ميدان «التراجم» و«دراسة الأدب العربي»، وكان في أعماق النفس شعور بالغيرة على تلك البطولات المدفونة التي كانت تذهب آثارها في طوايا الدوريات، فأحييتُ تاريخ أمثال أحمد زكي باشا، وعبد العزيز جاويش، وفريد وجدي، وأقمت ذلك المشروع الواسع لدراسة ألف شخصية «الأعلام الألف»)).[٣]

كما يشير الجندي إلى أن السبب الرئيس الذي دعاه إلى التأليف في السيرة الشخصية للأدباء هو أن الأدب العربي المعاصر يقدم في كل يوم نتاجا جديدا، وأعلاما جددا، وأقرب الطرق لمعرفة تلك الشخصيات عن طريق آثارهم التي تركوها، ومن هنا لا بدَّ من إلقاء الضوء على أعلام الأدب ومفكريه وآثارهم، منذ عصر النهضة إلى اليوم، فهم ألمع الشخصيات في مجال الأدب، ونتاجهم هو عصارة الأدب العربي في هذه المرحلة، وتعد هذه الدراسة بمثابة الإطار للصورة التي لم ترسم بعد عن الأدب العربي المعاصر، ومن شأن هذا العمل هو الكشف عن وجوه التفاعل والحركة في مجال الأدب والتراث والنقد والتراجم والتاريخ، وتصوير مختلف القضايا والتيارات الجديدة والقديمة، ومن هنا كانت هذه المجموعة المنتقاة من الأدباء والأعلام على مستوى العالم العربي

(١) ينظر: الزاهد أنور الجندي حياته - أدبه – فكره، د. حلمي محمد القاعود: ٣١
(٢) ينظر: أعلام وأصحاب أقلام، مجلة البيان الكويتية، العدد ٥٠، لسنة ١٩٧٠: ٥٥ - ٥٧
(٣) شهادة العصر والتاريخ، أنور الجندي: ٣٥

بمثابة أضواء كاشفة للطريق، وتمثل وحدة متكاملة من ناحية مظاهر التطور في مجال الدراسات الأدبية، ومن ناحية تكامل أجزاء الوطن العربي في فكر كتّابه وأبحاثهم.(١)

وينظر الجندي للأديب بوصفه حاملاً لمشروع نهضوي، فلا بُدَّ من انصافه وتقديره وإعزازه، ففي كتابه (أعلام لم ينصفهم جيلهم) يقول: ((وهذه باقة من رجال أعلام، حاولوا أن يحملوا مشاعل النور في مهب عواصف الأهواء، وقد قاموا بدورهم كاملاً غير أن الزمن الذي كان ضنيناً إذ ذاك بالتقدير تجاههم وعداهم إلى غيرهم. ولكثير من هؤلاء الأعلام أبحاث ومؤلفات لم تنشر، وكتابات اندثرت، فما أحوجنا ان نجددها ونبعثها اليوم في ظل نهضتنا الفكرية الثائرة، التي ترد إلى الذين ظلموا في الماضي حقهم، وإلى الذين لم ينصفوا مكانهم)).(٢) ويؤكد أن منهجه قائم على أساس الإنصاف والتقدير لهؤلاء الأعلام، ففي كتابه زكي مبارك دراسة تحليلية لحياته وأدبه يقول: ((هذا كاتب لم ينصفه جيله؛ لكنه ينصف الآن، في ظل نهضتنا العملاقة ويقظتنا العربية الكبرى، التي جعلت الوفاء للعاملين، والتقدير للباحثين، من بين أكبر أعمالها))(٣).

كما أشار إلى السبب الرئيس في تأليف كتابه عن الأديب أحمد زكي الملقب بشيخ العروبة فقال: ((ومن حق هؤلاء النوابغ علينا أن نكشف عنهم، ونؤرخ لهم، وندرس انتاجهم وآثارهم، ونقدمهم لجيلنا المعاصر المتعطش إلى صور البطولة في مختلف الميادين، وإلى روائع الفكر وبدائع الفنون الأدبية، من مساجلات وتحقيقات. ولقد حفل تاريخنا في هذه الفترة بأعلام بارعين صادقين في إيمانهم بأمتهم، وبلغتهم، وبتاريخهم، غير أن بعضهم آثر العمل دون الشهرة، وبعضهم لمع لمعانا خاطفا خلال حياته، فلما قضى غاب في أعماق الأحداث، ولم يجد من يؤرخ له، أو يكشف عن فضله وأثره))(٤).

ويرى الجندي أن من الامانة والعدل من غير مجاملة أو مبالغة، الكتابة والتأليف عن رواد الشعر الحديث، ويبدو أن النسيان والاهمال كان من أهم الأسباب في تأليفه كتاب (الزهاوي شاعر الحرية) وقد سلط اللوم على دعاة التجديد من الأدباء والكُتّاب الذين اهملوا الكتابة عنه وعن شعره وتجديده وجرأته، وفي ذلك يقول: ((وإذا كان الزهاوي قد لقي الاغضاء من الرجعيين أو الجامدين فلماذا نسيه المجددون، وحملة ألوية الفكر الحر الناهض؟ وإذا كان أبناء عصره وجيله قد غضوا من قدره فما باله اليوم وقد ظهر جيل جديد في العالم العربي يؤمن بتقدير الأحرار من

(١) ينظر: مفكرون وأدباء من خلال آثارهم: ٥ - ٧
(٢) أعلام لم ينصفهم جيلهم: ٣
(٣) زكي مبارك دراسة تحليلية لحياته وأدبه: ٣
(٤) أحمد زكي الملقب بشيخ العروبة- حياته – آراؤه - آثاره: ٣

رجال الفكر وحملة المشاعل في طريق التجديد والبعث، هؤلاء الأحرار الذين إذا ذُكروا كان جميل صدقي الزهاوي – بلا مجاملة أو مبالغة- من أوائلهم وروادهم فهو شاعر الحرية الذي احتمل في سبيل دعوته عنتا شديدا وهجوما عنيفا))[1].

وعلى وفق ما تقدم نقول: إن الناقد أنور الجندي لم يتعامل مع التراجم الأدبية بوصفها سردا لسير الأعلام فحسب؛ بل انطلق من رؤية فكرية ونقدية تدرس الشخصية الأدبية بوصفها جزءاً من مشروع النهضة والمشهد الثقافي، وتقيمها عن طريق علاقتها بالبعد العربي والإسلامي من عدمه، ومن هنا يظهر لنا أن السبب الرئيس الذي دعا الجندي لتأليف موسوعته الكبيرة الألفية في سيرة الأعلام والأدباء والكتّاب والمفكرين هو انصافهم، وتعريف الجيل المعاصر بأهم الشخصيات المؤثرة في الحركة الأدبية والنقدية وتسليط الضوء على آثارهم ونتاجهم.

المطلب الأول: ملامح المنهج النقدي في دراسة الشخصية الأدبية عند الجندي

التزم أغلب الأدباء والنقاد الجانب التقليدي في دراسة سير الأعلام على طريقتين، الأولى تناولوا فيها حياة الأديب منذ ولادته ونشأته ودراسته وثقافته ورحلاته إلى وفاته، والثانية تناولوا فيها نتاج الأديب الإبداعي الجمالي، وإن خير سبيل لدراسة السيرة الشخصية والإبداع الفني للأديب هو أن يجمع الباحث بين النقد والتاريخ، فيكون ناقدا ملهما ومؤرخا مدققا لا يغلب جانبا على آخر؛ لأنهما ضروريان في تقويم فن الأديب وفي توضيح تطوره الفكري والأدبي، وحتى تكون الأحكام واضحة وصادقة لا بدَّ أن يكون كاتب السيرة على إلمام واسع بأصول النقد الحديث وبالتاريخ المعاصر، ليقف على العوامل النفسية والدوافع الذاتية للأديب وأثر ثقافته ونضجه المعرفي في أدبه، كما إن ذلك يحتم عليه بُعد النظر في التحولات السياسية والاجتماعية والأحداث العامة وأن يتعامل معها بحذر، مع العناية الفائقة بالوثائق والتقارير وأحاديث المعاصرين التي تسلط الضوء على جوانب الشخصية المختلفة.[2]

وهذا ما كان عليه منهج الجندي في تراجم الشخصيات، إذ كان يمزج بين الطريقتين في أغلب مؤلفاته عند حديثه عن الأعلام والتعريف بهم، وغالبا يركز على تحليل القضايا التاريخية والأدبية والفكرية وتتبع التحولات الثقافية والمعرفية والنفسية التي تشكل جانبا مهما من جوانب الشخصية.

(١) الزهاوي شاعر الحرية: ٣

(٢) ينظر: خيري الهنداوي حياته وديوان شعره، يوسف عز الدين: ٦ - ٧

ومن ملامح المنهج النقدي في دراسة الشخصيات الأدبية عند الجندي كما ذكرها الناقد حلمي القاعود أن عمل أنور الجندي في تراجم الأعلام امتد شوطا طويلا لتكون دراسة شبه كاملة عن أعلام الأمة الإسلامية في العصر الحديث، لذا اخرج موسوعته تحت عنوان: (أعلام القرن الرابع عشر الهجري) وكان هدفه من هذا العمل التعريفي بالأعلام مواجهة الحملة التغريبة الخطيرة على التراث والتاريخ والثقافة الإسلامية[1].

وتظهر ملامح المنهج الوصفي التحليلي النقدي بشكل واضح في معظم مؤلفات أنور الجندي عند دراسته لسير الشخصيات الأدبية والفكرية، مع العناية الواضحة بالمناهج الأخرى كالتاريخي والنفسي والاجتماعي والانطباعي، فمؤلفاته تتميز بالقراءة التكاملية بعيدا عن المناهج الغربية أو الحداثية، فقد جمع بين النقد الأدبي والتحليل النفسي والتوثيق التاريخي والقراءة الفكرية والثقافية، ومن هنا تكمن أهمية هذه التراجم في توثيق حركة الفكر العربي، ودراسة اتجاهاته المختلفة الإسلامية والقومية والتغريبية، فالتراجم الأدبية تدرس بوصفها أداة لتشكيل الوعي الجمعي.

ويُعدُّ كتابه(مفكرون وأدباء من خلال آثارهم)، عبارة عن وثيقة تاريخية وقراءة فكرية موجزة لعدد من الأعلام والأدباء في العصر الحديث، انتقاهم من أنحاء متفرقة من البلاد العربية، حيث ضمّ هذا الكتاب تراجم تسعة وثلاثين شخصية من الأدباء والمفكرين العرب من المغرب إلى العراق، وكذلك الحال في كتابه(من أعلام الفكر والأدب)، الذي يُعدُّ تحليلا نفسيا وتاريخيا للشخصيات، و كذلك كتابه(أضواء على حياة الأدباء المعاصرين)، وكتاب(أعلام لم ينصفهم جيلهم)، وكتاب(كُتَّاب العصر تحت ضوء الإسلام)، وكتاب(أضواء على نفسيات الأدباء)، وكتاب(أعلام واصحاب أقلام)، وكتاب(نساء في حياة الأدباء)، وكتاب(خلفيات عمر الخيام وقضية الرباعيات).

ويتجلى بوضوح المنهج النقدي في مؤلفات الجندي التي أعدّها كدراسات مستقلة لبعض الشخصيات الأدبية مثل كتابه (الزهاوي شاعر الحرية)، وكتاب (زكي مبارك دراسة تحليلية لحياته وأدبه)، وكتاب (أحمد زكي الملقب بشيخ العروبة، حياته، آراؤه، آثاره)، وكتاب (جرجي زيدان منشئ الهلال)، وكَتَبَ في ترجمة طه حسين أربعة كتب هي:(الوجه الآخر لطه حسين، وطه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ومحاكمة فكر طه حسين، هل غير الدكتور طه حسين أراءه في السنوات الأخيرة).

(١) ينظر: الزاهد أنور الجندي حياته، أدبه، فكره: ٣١

ومن أهم ما تنماز به كتابات الجندي المنهج الوصفي التحليلي النقدي والوقوف على العوامل النفسية والدوافع الذاتية للشخصيات ويظهر ذلك بوضوح في وصف ملامح شخصية زكي مبارك فيقول: ((لا اعتقد أن شخصية أدبية أوضح في ملامحها وأصرح من شخصية زكي مبارك، فإنه من اليسر الوصول إلى شمائل هذه الشخصية من آثاره وكتاباته، فهو أصرح كتّابنا المعاصرين في الحديث عن نفسه، وأجرؤهم في الكشف عن دخائله، وأقدرهم على مجافاة التقاليد، وهو صاحب مذهب الصراحة ومجافاة النفاق في الكتابة، والولوع بمهاجمة المنافقين والذين يظهرون غير ما يبطنون، فهو يعلن رأيه في كل إنسان، وفي كل شيء في صراحة تامة، دون أن يبالي عواقب ذلك في حياته العامة، ولقد جر عليه مذهبه هذا عداوات كثيرة... ولعل مرجع هذا عنده أنه قد احتفظ بطبيعة الفلاح، في عنفه واندفاعه وصراحته وصوفيته، فإذا أحب أو كره، بلغ غاية الغايات، ووصل نهاية الشوط، لا وسط عنده ولا اعتدال، تتحكم فيه عاطفته وأعصابه، وتذهب به مذهب الرضا أو الغضب)).[1]

وفي تحليل الحالة النفسية اللوامة في مواجهة الأخطاء التي تشكل شخصية زكي مبارك يقول: ((وهو إلى هذا قادر على مواجهة أخطائه، والاعتراف بها، ولعل أبرز مواقفه في ذلك عندما هاجم الغزالي، في مستهل حياته الفكرية، ثم لم يلبث أن رأى نفسه قد أخطأ في ذلك، فكتب في صراحة ينكر رأيه الأول ويعترف بخطئه)).[2]

ويتعمق الجندي في ذكر الأثر النفسي على شاعرية زكي مبارك، ففي موضوع غربة القلب يؤكد إن من أهم معالم حياة زكي مبارك هو احساسه العميق الدائم بغربة القلب، إنه قد آمن بالصراحة والوضوح والجرأة على قول كلمة الحق، ولذلك عجز عن المجاملة والمداراة، وشعره وجداني ذاتي، وهو ما يتفق مع طبيعته العاطفية التي تدافعها الأشواق والأهواء، وشعره أيضا يتسم بطابع الحزن، لذا أصدر زكي مبارك ديوانه (ألحان الخلود) في الوقت الذي كان يمر فيه بأزمة نفسية، فهو عصارة عواطفه واحاسيس شاعريته.[3]

وفي معرض حديثه عن شخصية الشاعر أحمد شوقي الانطوائية المعقدة وصفه بقوله: ((كان شوقي قليل الكلام، ولم يكن ممن يتصدرون المجالس، بل كان منطويا يوجز القول ويطيل الصمت...وقد وصف النقاد طبيعة شوقي بأنها طبيعة معقدة، وردوا ذلك إلى أن فيها من الترك واليونان والشركس، وأن كل هذه الآثار وما فيها من طبائع اصطلحت على تكوين نفس شوقي، هذه النفس بحكم هذه

(١) زكي مبارك دراسة تحليلية لحياته وأدبه: ٤٢ - ٤٣
(٢) المصدر نفسه: ٤٣
(٣) المصدر نفسه: ٦٣ - ٧٠

الطبيعة أو الطبائع أبعد الأشياء عن البساطة وأنآها عن السذاجة، وهي بحكم هذا التعقيد والتركيب خصبة كأشد ما يكون الخصب، غنية كأوسع ما يكون الغنى)).[١]

وحين يريد فهم ملامح شخصية العقاد وسرائرها ينقل اعترافاته من كتبه، كاعترافه بأنه يحب العزلة والانطواء ويحرص عليها، وأن فلسفة حياته تفرض عليه العزلة في بعض الأوقات، وكان أحيانا لا يغادر داره أسبوعا كاملا، وأنه ورث هذا الانطواء من أبيه وأمه، وأنه لا يعرف التوسط في الحب والكره، وأنه يحب الشهرة والخلود،[٢] وبعد ذلك يخلص فيقول: ((هذه ملامح الصورة النفسية وخطوطها الرئيسية، كما رسمها في أكثر من موضع من كتاباته، وهي في مجموعها تعطي صورة رجل كونته تصاريف الأيام ومنحته الخبرة الطويلة، وأتاح له الاتصال بمختلف البيئات الأدبية والسياسية، طبيعة متعددة الجوانب)).[٣]

ويرى أنور الجندي أن من أبلغ مظاهر شخصية الشاعر جميل صدقي الزهاوي الاضطراب والتقلب في الحب والكره، والقلق والتشاؤم والتململ، ((ذلك أن الزهاوي الأنوف المعتز بشخصيته كان يود أن يُختار لعمل ممتاز يليق بمكانته وشعره...وقد ظل يحس بأنه دون قدره، وأنه لم يعط ما كان خليقا به...وفي أبان هذه النفسية فكر في الهجرة إلى مصر فنظم قصيدته الحماسية أنت مصر ملجأ الأحرار)).[٤] وفي موضع أخر يرى الجندي أن الزهاوي كان يعيش حياته بين الشكوى والزهو والطموح والقلق والتمرد، ومن جماع ما يقال عنه أن القلق والتشاؤم والتقطيب والضيق والشكوى كانت من أبرز معالم شخصيته، وأن تقدمه في السن أعطته شيئا من القداسة، إذ كان يحب المدح والاطراء ويضيق بالنقد ذرعا، وقد تأثر بأحداث العراق والبلاد العربية، فعاش حياته شاكيا ضجرا قلقا، وقيل إن علله وأمراضه التي لازمته طوال حياته لها أثرها في اتجاهاته، إذ كانت مصدر قلقه وجزعه واكتئابه، وقيل إن فيه تناقضاً واضطراباً، وعاطفته وانفعاله الشديد تغلب على عقله أحياناً.[٥]

أما المنهج التاريخي الذي سار عليه الجندي فيظهر بوضوح في دراسة السيرة الذاتية لطه حسين، في كتابه (طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام) وذلك بتتبع تاريخي لمراحل حياته، مع وصف لكل مرحلة بأهم سمة رافقتها، مثل: مرحلة التكوين والاعداد، ومرحلة النضج

(١) من أعلام الفكر والأدب: ٨ - ٩
(٢) المصدر نفسه/ ١٤٧ - ١٤٩
(٣) المصدر نفسه: ١٥٠
(٤) الزهاوي شاعر الجرية: ٦٠
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٩٩ - ١٠٠

والتأليف، ومرحلة آرائه وصراعه مع أهل جيله[١]. وهذه الدراسة المعمقة عن حياة طه حسين هي توثيق تاريخي دقيق لمراحل تكوينه الذاتي والفكري، كما أولى عنايته بحياة طه حسين متتبعا جوانب مهمة من حياته الفكرية في كتبه الأخرى: مثل كتابه (محاكمة فكر طه حسين)، وكتابه (أكذوبتان في تاريخ الأدب الحديث أحمد لطفي السيد، طه حسين)، وكتابه(الوجه الآخر لطه حسين)، وكتابه(هل غير الدكتور طه حسين أراءه في السنوات الأخيرة). وكتابه (كتّاب العصر تحت ضوء الإسلام).

ومن الشخصيات التي تناول الجندي سيرتها الذاتية والفكرية بتتبع تاريخي زكي مبارك، حيث أفرد له كتابا بعنوان: (زكي مبارك دراسة تحليلية لحياته وأدبه)، وقد استطاع الجندي في هذا الكتاب الجمع بين الترجمة الشخصية للأديب والتتبع التاريخي الاستقرائي لأدبه، حيث تعرض لمراحل حياته المختلفة منذ النشأة والدراسة بالأزهر والحياة الجامعية إلى ملامح تكوّن شخصيته في الكتابة الوجدانية والتصوف إلى مراحل نضج الآراء وتكوين الاتجاه الواضح في الدفاع عن القومية العربية والخصومات والمعارك الأدبية.

ويرى الجندي أن أدب زكي مبارك يصور جانبا مهما من تاريخ أدبنا العربي المعاصر فهو مرآة لجيل كامل، وأن أدبه سيحيا لأن كاتبه حارب الاستعمار، فقد ذهب إلى فرنسا وعاد، وما زالت أمانته لأمته أكبر من أمانته للغرب، ولم تحص عليه كلمة واحدة انحرف فيها إلى دعوى التغريب، بل ازداد عمقا في فهم القومية العربية والإيمان بوطنه الكبير.[٢] وتأسيساً على هذه النظرة يرى الجندي أن زكي مبارك استطاع أن يؤكد شخصيته في بداية حياته في ثلاثة ميادين: الخطابة والصحافة والشعر، وفي الأزهر كان للشيخين الكبيرين الشيخ سيد بن علي المرصفي والشيخ محمد المهدي أكبر الأثر في اتجاهه الأدبي.[٣]

وبهذا التتبع التاريخي الدقيق حاول الجندي أن يرسم صور زكي مبارك من دون تحيز أو مجاملة، فلم يجعل لعاطفته كبير دخل في دراسة حياته وأدبه، وإنما اظهره بخيره وشره، من دون عدوان عليه أو مبالغة في تقديره[٤]، ويُعدُّ هذا الكتاب توثيقاً دقيقاً لمراحل حياة زكي مبارك مع ما كتبه عنه في كتابه الآخر أعلام لم ينصفهم جيلهم.

(١) ينظر: طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام: ٢٥٣ - ٢٥٤
(٢) ينظر: زكي مبارك دراسة تحليلية لحياته وأدبه: ١٨٩
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٧
(٤) ينظر: زكي مبارك دراسة تحليلية لحياته وأدبه: ١٨٦

كما يتسم منهج الجندي بالتحليل الانطباعي والتأثري في وصف الشخصيات، والإشارة إلى جهودهم بإشارات نقدية سريعة، ونجد عنايته الفائقة بهذا الاتجاه في كتابه أعلام لم ينصفهم جيلهم، فهذا الكتاب في مجمله يتسم بالتأثر والانطباع والاحكام العامة، ففي تتبعه لجهود محمد عياد الطنطاوي في نقل العربية إلى روسيا يقول: ((هذا العلامة الذي هجر وطنه إلى الشمال، بعيداً هناك إلى مدينة بطرسبرج منذ نحو قرن ليكون سفيراً للغة العربية والفكر العربي في جامعات روسيا، وهو من الرعيل الذي برز منه رفاعة رافع الطهطاوي، أولئك الذين علمهم الشيخ حسن العطار كيف يفكرون ويجادلون للاستفادة من العلم الغربي الحديث، ليكشفوا عن تراث الأمة العربية بأسلحة جديدة، ويطعموا ثقافتنا بما استحدثته الحضارة، حتى تكون شخصيتنا أكثر قدرة على مواجهة الحياة والتطور، وهو من أوائل من اشتغلوا بالأدب من علماء الأزهر... وقد خلف عدداً من المؤلفات والشروح على الكتب العربية القديمة، كما تخرج على يديه عدد كبير من المستشرقين)).[١]

ونجد مثل هذا الاتجاه عند الجندي في التحليل الانطباعي في وصف حسن توفيق العدل فيقول: ((هذا رائد من روادنا، هو أول من أدخل إلى أدبنا العربي المعاصر كتابة تاريخ الأدب، فقد كان هذا النوع غير معروف في أبحاثنا ومدارسنا...وكتب عن البيداجوجيا وهو علم هداية الأطفال، وقد ذكر فيه طريقة تهذيب الناشئة... وله المقالة العدلية على نمط الحريري في مقاماته)).[٢]

ولعل سمة التحليل الانطباعي تبدو بوضوح في وصف محمود تيمور فيقول: ((وقد بدأ حياته شاعراً، ثم اتجه إلى القانون وسافر إلى أوربا سنة ١٩١٢، غير أنه شغف بالمسرح وأحب أن يكتب له، فكتب القصة والرواية والمسرحية، وأنشأ فصولا في النقد وصفت بالاتزان والدقة والصراحة، لم يكن فها مجاملا ولا متحاملا، وهو في هذا رائد غير مسبوق، وضع قواعد النقد المسرحي، وحقق هذه القواعد بتآليفه في قصصه الثلاث: العصفور في القفص، وعبد الستار، والهاوية، وقد انتزع أحدث قصصه من واقع الحياة وصميم المجتمع)).[٣]

وتبدو سمة التحليل الانطباعي التأثري واضحة جلية في وصف الشاعر أحمد محرّم فيقول: ((هذا الشاعر عاش في ظل الحياة الفكرية المصرية قادراً على أن يشق الطريق إلى الجاه والمال وإلى الملوك والأمراء والوزراء، كما فعل زملاؤه وأبناء جيله...ولكن حفاظه على الكرامة وإيمانه

(١) أعلام لم ينصفهم جيلهم: ١٦
(٢) المصدر نفسه: ٢٦ - ٢٧
(٣) أعلام لم ينصفهم جيلهم: ٢٩ - ٣٠

بالوطنية وصدق عاطفته ونقاء سريرته حملته على العيش في ظلال الفقر والعفاف... وقد عرف بشعره الوطني الصادق...وقد شهد له عدد من الشعراء والنقاد أن شعره يمتاز عن شعر حافظ إبراهيم في الرنين العذب، غير أن اتجاهه الوطني النقي الخالص، وبعده عن الملق وعزوفه عن أهواء المجتمع والسير في ركب الزعماء والأمراء حال بينه وبين المركز المرموق، وقد تأثر به رامي وعلي محمود طه وعزيز أباظة)).[١]

ومن النقد الموضوعي المتزن في اصدار الأحكام عند الجندي نجده ينظر للشخصية الأدبية بوصفها حاملة لمشروع نهضوي أو تغريبي، ولذا اعتمد معيارا نقديا هو (المعيار الاخلاقي)، إذ كان يقيس الأدباء بالمنظور الإسلامي لا بالمنظور التغريبي، ورغم هجومه الشديد على دعاة التغريب (وخاصة طه حسين)، كان منصفا له في كتاباته، حيث كتب عنه بمنطق علمي وتحليلي، ولعل من أهداف الجندي في الترجمة لطه حسين هو تعريف الأجيال بالشخصيات المؤثرة في الحركة الأدبية تعريفاً حقيقياً واقعياً من غير تحامل أو تحيز، وفي ذلك يقول:((والحق أن الدكتور طه حسين قد اكتسب شهرة واسعة وانتج انتاجا غزيرا، وكان له نشاطه الواسع في مجال الجامعة ووزارة المعارف بالإضافة إلى مجاله في الصحافة والتأليف. ولا نريد أن نتعجل الحكم على الرجل وآثاره، وإنما نود أن نضئ الطريق إلى فهمه بتقديم الواقع والوثائق المتصلة بحياته وفكره على النحو العلمي الصحيح، حتى يجيء الحكم عليه منصفا عادلا غير مشوب بشيء من التحامل أو التحيز)).[٢]

ومن الانصاف والموضوعية عند الجندي في النقد أنه كان يتحدث عن آثار طه حسين ويرد ما فيها من شبهات ولم يتعرض لشخصه، وقد أكد ذلك فقال: ((وننتهز هذه الفرصة فنؤكد أنه خلال الدراستين اللتين صدرتا عن دار الاعتصام تحت عنوان:

١- طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ٢- محاكمة فكر طه حسين، لم ترد مطلقاً أي كلمة يمكن أن توصف بأنها اتهام بالكفر أو الإلحاد، فقد مضى البحث في ضوء المفهوم الإسلامي الأصيل بعيداً عن الهوى، وربما كان غيرنا هو الذي قال مثل تلك العبارات، وإنما قلنا: إن كل ما في الموضوع أن الأمانة بالنسبة للأجيال الجديدة من شباب الإسلام تقتضينا أن نضع أمامها حقائق الإسلام في مواجهة الشبهات التي ساقها العميد، أما غير ذلك من شأنه هو شخصياً فهذا أمر نكله إلى الله تبارك وتعالى)).[٣]

(١) المصدر نفسه ٣٨ - ٣٩
(٢) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام: ٧
(٣) كتّاب العصر تحت ضوء الإسلام: ١٥

ومن موضوعية الجندي أيضا في نقد آثار طه حسين يقول: ((والواقع أنه دار حول طه حسين زيف كثير، ومبالغات حاولت تضخيم هذا الرجل لحساب الذين استعملوه ضد المسلمين والعرب، نحن لا نغض من قدر طه حسين صاحب الأيام، ولا يضيرنا أن نقول أن طه حسين من أصحاب النثر الفني، وأنه من المدرسة المبتدعة التي بدأها المنفلوطي وسار في طريقها الرافعي والزيات والبشري، ولا يستطيع أحد أن ينتقص من موسيقى طه حسين وفنه وبلاغته... ولكنا لا نستطيع إذا نظرنا لأثر طه حسين في البلاد العربية وفي الثقافة الإسلامية من خلال آثاره المتعددة من دراسات الأدب والتاريخ والتربية وغيرها أن نقتصر وقفتنا عن كتاب الأيام، بل لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن هذا النثر الفني الموسيقي كان مدخلا خطيرا إلى آراء طه حسين في كتابيه الخطيرين: الأدب الجاهلي ومستقبل الثقافة)).[1]

وكما قلنا على الرغم من نقده الشديد لأدباء التغريب إلا أننا نجده موضوعيا ومنصفا لهم في بعض جوانبهم، كما هو الحال في نقده لسلامة موسى إذ يقول فيه: ((وسلامة موسى من الكتّاب الذين يؤمنون بالغرب إيمانا كاملا، كل ما في الغرب من خير وشر، ومن هوى وضلال، وهو يرى أن الشرق لا يمكن أن يصل إلى المكانة المرموقة إلا إذا استغرب استغرابا كاملا. وسلامة موسى هو أشدُّ كتّاب مصر تطرفاً في الرأي.....؛ ولكن هناك جوانب تشرف سلامة موسى وتكتب له في تاريخ الأدب المعاصر صفحات مشرقة، تلك هي ترجمته لنظرية التطور والتفسير المادي للتاريخ، ونظرية السيكولوجية الحديثة بين فرويد وادلر ويونج، فقد نقل هذه العلوم إلى العربية في أسلوب واضح دقيق، لم يصل إليه غيره من المنشغلين بهذه العلوم والدراسات)).[2]

أما عن حكمه المتزن في بعض القصص التاريخية في أدب جرجي زيدان فيلتمس العذر له في عدم التثبت من صحتها؛ لأنه اجتهد في تحويل الروايات التاريخية إلى أسلوب قصصي مبسط فيقول: ((ومهما يكن من رأي النقاد في بعض الوقائع التاريخية التي أوردها جرجي زيدان، فإنه قدم إلى الناس صوراً للتاريخ الإسلامي في أسلوب قصصي محبب إلى النفوس، قريب إلى المتوسطين الذين لا يستطيعون هضم المجلدات التاريخية الجافة... ونسي النقاد أن جرجي زيدان كان يقتحم ميداناً جديداً، وأن، أدواته بالطبع كانت أقل من أدواتنا الآن، وأنه في حدود المراجع التي وجدها بين يديه استطاع أن يدرس تاريخ العرب والشرق باعتباره تاريخ الإسلام، وليس من شك أن جرجي زيدان كان يتناول ذلك بحسن نية على أساس أنه كاتب عربي يكتب

(١) أكذوبتان في تاريخ الأدب الحديث، أحمد لطفي السيد، طه حسين: ١٨ - ١٩
(٢) من أعلام الفكر والأدب: ١٨١

للعرب، فلا عليه إن اعتمد على رواية دون رواية)).[1]

وعلى وفق ما تقدم من نماذج في التراجم الأدبية ظهر لنا بوضوح أن الجندي تبنى منهجا وصفيا تحليليا ذا طابع نقدي، حيث سعى إلى تقديم قراءة معرفية للشخصيات الأدبية وتصويرها تصويرا دقيقا من طريق آثارهم ومواقفهم، وذلك في أغلب مؤلفاته، وكان يركز في تحليله على القضايا التاريخية والأدبية والفكرية، ويتتبع التحولات الثقافية والمعرفية والنفسية التي تشكل جانبا مهما من التوجهات الفكرية المضمرة في تجارب الشخصيات الأدبية.

المطلب الثاني: موقف الجندي من الأدباء (نماذج تطبيقية)

حدد الجندي موقفه من الأدبـاء على وفق توجههم الفكري والثقافي والأيديولوجي في الأدب والنقد والتاريخ، فقد درس الشخصيات الأدبية وصنفهم على ثلاثة اتجاهات رئيسة وهم كما يأتي:

أولا: أدباء الأصالة. ثانيا: أدباء التغريب. ثالثا: شخصيات التيار القومي.

أولا: أدبـاء الأصـالـة: وهـم الشخصيات المحافظة على التراث العربي والمدافعة عنه، ويطلق عليهم أعمدة مدرسة اليقظة الإسلامية أمثال: أحمد زكي باشا، ومحمد فريد وجدي، مصطفى لطفي المنفلوطي، ومصطفى صادق الرافعي، ورشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، ومحمود محمد شاكر، ومحمد مصطفى المراغي، وعبد المتعال الصعيدي، ومحمد أحمد الغمرواي، وغيرهم.

يرى الجندي أن الأسلوب الأدبي الذي ابتدعه مصطفى لطفي المنفلوطي في مطلع القرن العشرين هو نموذج الأصالة الذي أثر في كبار الرواد الذين اقاموا صرح الأدب العربي المعاصر، حتى كان الثالوث (طه حسين، وأحمد حسن الزيات، ومحمود زناتي) يقرأ له بكل اعجاب، ولا يزال أدب المنفلوطي - بعد أربعين عاماً - قوياً حياً يبعث في النفس آثاره من دون أن تقضى عليه الألوان الجديدة التي جاءت بعده، وإن أثر أسلوبه يبدو واضحاً في كتابات الرافعي، وطه حسين، والزيات، وعبد العزيز البشري، وقد استطاع المنفلوطي أن يظفر من ناقديه بأنه أحد الأدباء القلائل الذين ادخلوا المعنى والقصد في الانشاء العربي.[2]

وتعد شخصية مصطفى صادق الرافعي نموذج الأصالة الإسلامية، وصاحب مشروع أدبي لغوي، إذ قدم الرافعي بوصفه ضمير اللغة والهوية فقال: ((وليس الدفاع عن الدين واللغة في ذاته

(١) من أعلام الفكر والأدب: ٨٦ - ٨٩

(٢) ينظر: من أعلام الفكر والأدب: ٢٣ - ٢٤

إلا جزءاً من كيان هذه الشخصية وجانباً من التعبير عن النفس فيها. وآثار الرافعي كلها تكشف عن نفسية مضيئة مشرقة، تفهم الحب فهماً دقيقاً وتصوره تصويراً قل أن يتاح إلا لمحب عركه الحب، ولمس أعماقه ومس شغاف قلبه. ليس للرافعي تاريخ إلا قصة حب، فقد بدأ حياته شاعراً، ثم تحول إلى النثر، وكاد أن يقصره على (فلسفة الحب والجمال) يصور به عواطفه ويرسم مشاعره، بل إننا لنذهب إلى أبعد من ذلك فنقول: إنه في سبيل الحب، أقام خصوماته الأدبية، ولأجله أنشأ المعركة بين القديم والحديث، فحمل لواءها وكان بطلها، وكان عنيداً في صراعه وفي خصومته. ويبدو هذا الصراع قوياً حين يتصل بشخصين، هما طه حسين والعقاد)).[1]

ومن الشخصيات المهمة في أدبنا العربي الحديث أحمد زكي باشا الملقب بشيخ العروبة، فقد وصفه الجندي بالرائد المصري الأول لإحياء الآداب العربية، والعلامة الباحث عن ذخائر المخطوطات وجمعها وتحقيقها، فقد حقق عشرات القضايا والمواقف والمواقع والأعلام وأسماء البلدان وكلمات اللغة، وهو أول مصري عربي في العصر الحديث زار الأندلس وأطلق عليها اسم (الفردوس المفقود)، وهو صاحب المكتبة الزكية التي تضم ثمانية عشر ألف مجلد، وهو أول من أدخل الترقيم في كتاباتنا العربية الحديثة، وهو الطوّاف الرحالة من أجل التراث، وداعية الأمة العربية من أجل الحفاظ على مقومات الفكر العربي، وجعلها أساساً للنهضة الفكرية المتطورة مع الزمن، المتصلة بالحضارة العالمية.[2]

وعلى وفق ما تقدم من تراجم لأعلام أعمدة مدرسة اليقظة العربية والأصالة، نرى أن الجندي قدمهم كنماذج ممن خدموا الأمة واللغة والدين، وبيان مدى أثرهم الكبير في الجيل بوصفهم أصحاب مشروع حضاري يربط بين الفكر والأدب والهوية والموقف.

ثانيا: أدباء التغريب: وهم شخصيات التيار التغريبي ودعاته أمثال: سلامة موسى، طه حسين، أدونيس، إحسان عبد القدوس، ومحمود عزمي، ولويس عوض، ولطفي السيد، وتوفيق الحكيم، وحسين مؤنس، ويوسف إدريس، وزكي نجيب محمود، ولويس شيخو، وفيليب حتى، وغيرهم.

يدعو الجندي إلى إعادة النظر في كتابات دعاة التغريب ونقدها، إذ يرى الجندي أن هناك ثلاث قضايا كبرى فرضت نفسها على عالمنا الإسلامي، وذلك من طريق التيار الزاحف من العلمانية والتغريب الذي يحاول أن يسيطر على التعليم والصحافة، وهذه القضايا الثلاث التي يريد أن يثبتها ويحميها هي: (قضية الحداثة) التي يحمل لواءها أدونيس وجماعته، و(قضية الجنس) التي يحمل لواءها خلفاء إحسان عبد القدوس، وقضية تزييف نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية

(١) من أعلام الفكر والأدب: ٣٨

(٢) ينظر: أحمد زكي باشا الملقب بشيخ العروبة حياته – آراؤه – آثاره: ٤ – ٥

تحت اسم (قضية النص) على النحو الذي يدعو له نصر أبو زيد وغيره.[١]

ويعد طه حسين نموذج التبعية الفكرية والثقافية للغرب، إذ قدم الجندي حقائق مذهلة عن شخصيته، وعرض أفكاره وردَّ عليها ووصفه بأنه رائد مذهب الشك في الفكر الحديث فقال: ((واليوم بعد عشرين عاماً من انكشاف حقيقة طه حسين نجد أن أقرب الناس إليه قد أخذوا في تصحيح موقفهم وكشف الزيف، فقد انهدمت هذه المذاهب في الغرب نفسه، انهدم مذهب الشك ومذهب فرويد ودارون وماركس ودور كايم... وبالجملة فإن الظاهرة الحديثة أنه في مؤتمرات المينا ١٩٨٠، ومؤتمر جامعة القاهرة ١٩٩٠ ألقيت ابحاث تتعرض بالنقد لكثير من مفاهيم الدكتور طه حسين، بل إن غالي شكري يذهب في كتابه(أقنعة الإرهاب) إلى أنه ألقيت أبحاث أجهد الأساتذة أنفسهم فيها لإثبات أن طه حسين ليس أكثر من مؤامرة صهيونية شاركت فيها فرنسا، وأنه أقرب أن يكون يهودياً مزروعا في مصر ولهدم الإسلام... والحقيقة أن طه حسين لم يكن مؤرخاً بأي حال من الأحوال، ولكنه كان يطبق منهج الشك الفلسفي على وقائع معينة في التاريخ الإسلامي ليثير حولها الشكوك والشبهات).[٢]

والحقيقة إن أنور الجندي أثار بكتاباته عن فكر طه حسين زوبعة كبيرة في الحياة الثقافية العربية، كان لها صداها في المجالس الأدبية والواقع الثقافي؛ لأنه حاول أن يحرر تفكير العقل العربي من ظاهرة تقديس الرموز والشخصيات والهيئات، ويفتح الباب واسعاً أمام قراءة الأدب والفكر قراءة واعية وعلمية، تنزع عنها هالة القداسة وتخضعها للمراجعة والتقويم على ضوء النقد العلمي الموضوعي، لقد اجتهد الجندي في قراءة فكر طه حسين وجمع مادة كبيرة من الوثائق والشواهد التي تعزز كثيرا مما ذهب إليه وخاصة فيما يرتبط بعلاقته بعقيدة الأمة وهويتها.[٣]

ومن النماذج التغريبية التي نقدها أنور الجندي نقداً لاذعاً أدونيس، فقد ذكر أن الفكرة الأساسية التي انطلق منها لهدم التراث هي إحياء الباطنية ومؤامرة الحداثة، ولذلك قال: هناك ((عوامل كثيرة كونت أرضية الفكرة المسمومة التي يحمل لواءها أدونيس، والتي تمثلت في العديد من العناصر التي أمكن أن تشكل هذا الفكر وتدفعه في قوة إلى الأمام... تتمثل هذه العناصر أساساً في ترابط الباطنية مع الحزب القومي مع السريانية... مع ترجمة الفكر اليوناني والذي حمل لواء الإباحية والالحاد...ومن هنا كانت مؤامرة الحداثة التي قامت بإحياء الفكر الباطني من جديد... كانت مهمته الكبرى البحث في الكتب القديمة عن كل إباحي وملحد وزنديق لجمع آثاره وتقديمها

(١) ينظر: كتّاب العصر تحت ضوء الإسلام: ١٣ - ١٤
(٢) كتّاب العصر تحت ضوء الإسلام: ٤٠ - ٤٣
(٣) ينظر: الزاهد أنور الجندي حياته، أدبه، فكره: ٢١١

من جديد بعد أن ردمها الزمان وكشفت الحقائق الأصلية فساد هذا الاتجاه، هذا هو العمل الكبير الذي قام به أدونيس...غير أن أدونيس لم يقف عند هذا الحد بل ذهب موغلاً في سموم الفكر الباطني والإلحادي وكتابات الملاحدة فجددهم مرة أخرى وأعادهم إلى الحياة ليس لأنهم كانوا من الذين ترددت أقاصيصهم، ولكن على أساس انهم أعمدة النهضة والذين جددوا الفكر الإسلامي وخلقوا ما يسمى الحداثة القديمة).[١]

ومن شخصيات التغريب التي نالها نقد أنور الجندي لويس عوض، ويرى الجندي أن مهمة لويس عوض متعددة الجوانب تخدم مطامع العلمانية والاستشراق وتراث الإغريق والرومان وتاريخ الفرعونية والثورة الفرنسية، ومن يطالع قائمة كتبه يتأكد له تماماً ذلك الإصرار على تشويه كل مقومات الفكر الإسلامي عن طريق الأدب أو التاريخ، وبعث التراث الفرعوني واليوناني، ويريد أن يجعل من الفكر العربي مديناً للمؤثرات الغربية، وهو حريص على أن يثبت تبعية الأمة الإسلامية للنفوذ الأجنبي وكتابات المستشرقين، ولم يترك في حياته الطويلة مجالاً ينفث فيه سمومه إلا سارع إليه، ففي الشعر: حاول هدم القصيدة العربية والاعلاء من شأن قصيدة النثر، وفي التاريخ: انتقص من الأبطال وقادة الأمة والاعلاء من شأن الخونة، وفي الترجمة: قدم كل سموم الفكر اليوناني والأدب العربي.[٢]

ومما تقدم يبدو لنا أن الجندي تبنى منهجاً نقدياً ينطلق من ثوابت الأمة الإسلامية في قراءة سير الشخصيات التغريبية كنموذج للتبعية الثقافية، وكشف توجهاتهم الفكرية المضمرة في النيل من التراث العربي والإسلامي، وعلى الرغم من بعض الملاحظات على منهجه في محاكمة الأدباء محاكمة ايدلوجية، وأحياناً كثيرة يغفل الجوانب الجمالية لحساب الجوانب الفكرية، إلا أن مشروعه في التراجم يظل من المحاور المهمة في الدراسات الأدبية الحديثة.

ثالثا: شخصيات التيار القومي: أمثال: زكي مبارك، جميل صدقي الزهاوي.

يُعدّ زكي مبارك من دعاة القومية العربية وأعمدتها، ولشدة دفاعه عنها وعنف هجومه في معاركه الأدبية اطلق عليه لقب (الملاكم الأدبي) في الثقافة العربية الحديثة، ونظراً لهذا الوصف يقول الجندي: ((وكانت جريدة البلاغ ميدانه، يكتب فيها كل أسبوع «الحديث ذو شجون»، فيثير الثائرة بآرائه ونقداته ومهاجماته التي خلقت له الخصومات مع رؤسائه في وزارة المعارف، وزملائه من الكتّاب، ولكن مبارك كان صافي القلب لا يرى في هذه المعارك خصومة شخصية، وإنما يراها وسيلة لتحريك الحياة الأدبية الراكدة، وبعث الحياة فيها بإثارة قضايا جديدة، وأتيح له أن

(١) كتّاب العصر تحت ضوء الإسلام: ٨٦ - ٨٧

(٢) ينظر: كتّاب العصر تحت ضوء الإسلام: ١٦٥ - ١٦٧

يطوف بالعالم العربي، ويعمل في العراق وتمتلئ نفسه بحب الأمة العربية فيدافع عن القومية العربية، ويدعو أن تحل اللغة العربية في كليات الجامعة بدلاً من الأجنبية، ويدخل في معارك مع أكبر شخصيتين في الصحافة والجامعة إذ ذاك هما: طه حسين، وأحمد أمين)).[١]

وتحت عنوان زكي مبارك الكاتب الذي أعز القومية العربية يترجم الجندي له في كتابه أعلام لم ينصفهم جيلهم فيقول: (غير أن الجانب الحي النابض بالحياة في تفكير زكي مبارك هو إيمانه الذي لا حد له باللغة العربية والقومية العربية).[٢]

إن من أهم جوانب دراسات زكي مبارك للأدب العربي، آراءه في القومية العربية ودفاعه عن اللغة العربية، وفي هذا المعنى يقول الجندي: ((فقد كان زكي مبارك صادق الإيمان بالقومية العربية غيوراً على اللغة العربية، وبالرغم من أنه سافر إلى أوربا وتأثر كثيرا بالثقافة الفرنسية والآراء الغربية في أسلوب البحث وطريقة التفكير، إلا أنه ظل من هذه الناحية صادق الإيمان بالعربية والعرب، لم ينحرف ولم يتردد في رد كل من يحاول أن ينال من أمجاد الفكر العربي أو اللغة العربية)).[٣]

كما يشير الجندي إلى أهم عاملين عمقا فكرة القومية العربية في نفس زكي مبارك هما: جولاته في العالم العربي، واتصاله بالبيئات الوطنية، ونظراً لذلك يؤكد الجندي أن حادثين مهمين في حياة زكي مبارك كانا مصدر هذا الاتجاه، وسبيلاً لاستمراره عنده، طوال حياته الفكرية. الأول: في زيارته لمراكش عام ١٩٣٢ بعد انتهاء اقامته في باريس، واتصاله بالمفكرين الوطنيين العرب، وفي مراكش يتمثل التاريخ العربي في أروع صوره، إذ هي المعبر للغزوات إلى أوربا، وهناك تنكشف لزكي مبارك عظمة الأمة العربية وقوتها وتراثها النابض بالحياة، والثاني: في زيارته لبغداد عام ١٩٣٨ مدرساً في مدارسها العليا، وقد تعمق شعوره بالقومية العربية وازداد قوة وحياة، ففي بغداد صورة عهد الرشيد والترجمة والتأليف والعلم والحضارة، وبذلك جمع بين عظمة الأمة العربية في أقصى طرفيها (بغداد ومراكش)، ومن شان هذا التاريخ العريق أن يكسب روح الكاتب الإيمان العميق بالقومية العربية والفكر العربي.[٤] وبهذا التوثيق الدقيق والتحليل النقدي رسم لنا الجندي صورة كاملة عن حياة الأديب زكي مبارك ومساره الأدبي في الدفاع عن القومية العربية والفكر العربي.

ومن رواد القومية العربية الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي، ولمكانته الأدبية الكبيرة في تاريخ العراق الحديث ترجم له الجندي كما ذكرنا سابقاً في كتاب مستقل اسماه (الزهاوي شاعر

(١) زكي مبارك دراسة تحليلية لحياته وأدبه: ٤
(٢) أعلام لم ينصفهم جيلهم: ٤٥
(٣) زكي مبارك دراسة تحليلية لحياته وأدبه: ٩٣
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٩٩ - ١٠٠

الحرية)، واطلق عليه شاعر القومية العربية وشاعر الحرية، إذ حمل لواء هذا الشعار ودعا إليه أكثر من خمسين سنة، وشعر الحرية هو أغلب ديوانه الشعري وأعمه، وأصدقه وأشده أثراً في النفس.(١)

ويرى الجندي أن الزهاوي له قصب السبق على جيله في الدعوة إلى الحرية والقومية العربية، ولذا كان يلتمس العذر له على مأخذ النقاد عليه، وذلك لطول جهاده في سبيل هذه الفكرة (حرية التعبير والدفاع عن القومية العربية) فيقول: ((والزهاوي بعد هذا كله بشر، فإذا أُخذ عليه نقاده ضعفاً في بعض مراحل حياته أو موقفاً هنياً فإنما يجب أن نذكر أنه كان يعيش في فترة من أحلك الفترات التي كان يمر بها الشرق حيث الاستبداد والاستعمار والبلاء كله يصب على الأمة العربية من الترك والانجليز على السواء، وإن روح المقاومة الفعلية لم تكن قد أخذت بعد صورتها الحية القوية التي نراه اليوم، فهو بالنسبة لجيله في دعوة الحرية والقومية العربية سباق متقدم عن جيله، وقد رجحت حرارة إيمانه وصدق كفاحه بما أخذ عليه رجحاناً كبيراً)).(٢)

ومما تقدم من تراجم لرواد القومية العربية يبدو أن الجندي كان يريد بيان أن فكرة القومية العربية فكرة قديمة في ضمير الأمة العربية، تتمثل بأننا أمة واحدة مزقها الاستعمار الغربي إلى دول، وقيام حركة القومية العربية في العصر الحديث على يد بعض الأعلام أمثال زكي مبارك والزهاوي وغيرهما، لبيان أن هناك أمة واحدة لها شخصية واحدة بمقوماتها واعرافها وتقاليدها، في اللغة والدين والتاريخ، وأنها مستقلة بشخصيتها عن التبعية الثقافية والفكرية للغرب.

وعلى وفق ما تقدم نجد موقف الجندي من الأدباء مبني على رؤيته الأيدولوجية، إذ صنفهم على وفق توجههم الفكري والثقافي والأيديولوجي في الأدب والنقد والتاريخ، وكان تصنيفه للشخصيات الأدبية على ثلاثة اتجاهات رئيسة، أدباء الأصالة، وأدباء التغريب، وشخصيات التيار القومي، وبيان أثرهم في تقدم مشروع النهضة والمشهد الثقافي من عدمه.

(١) ينظر: الزهاوي شاعر الحرية: ٤٨

(٢) الزهاوي شاعر الحرية: ٥٨

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الماتعة والمراجعة الواسعة في مؤلفات الناقد أنور الجندي أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها ومنها:

- تُعدُّ ظاهرة الكتابة عن سير الأعلام والشخصيات من أهم أعمال الناقد أنور الجندي، فهي الامتداد الطبيعي لما كتبه جيل الرواد في تاريخنا العربي والإسلامي، ويكمن أثر اتجاهه هذا في تشكيل الوعي الثقافي العربي، وتسليط الضوء على مشروع نقدي مهم أغفلته الكثير من الدراسات المعاصرة.

- بيّن البحث أهمية التراجم الأدبية في حركة الفكر والأدب العربي، ورصد أهم التحولات التاريخية والاجتماعية والثقافية عبر التحليل النفسي والفكري للشخصيات، فناقدنا لم يتعامل مع التراجم الأدبية بوصفها سرداً لسير الأعلام فحسب؛ بل انطلق من رؤية فكرية ونقدية تدرس الشخصية الأدبية بوصفها جزءاً لا يتجزأ من مشروع النهضة والمشهد الثقافي، وتقيمها عن طريق علاقتها بالبعد العربي والإسلامي من عدمه، إذ جعل منها أداة تحليلية نقدية للكشف عن الاتجاهات الفكرية الكبرى التي حكمت مسيرة الأدب العربي الحديث.

- أشار البحث إلى أن الجندي تبنى منهجا وصفيا تحليليا شاملا، يجمع بين الفكر والأدب، والهوية والموقف، والسياق والنتاج، حيث سعى إلى تقديم قراءة معرفية للشخصيات الأدبية وتصويرها تصويرا دقيقا من طريق آثارهم ومواقفهم، وكان يركز في تحليله على القضايا التاريخية والأدبية والفكرية، ويتتبع التحولات الثقافية والمعرفية والنفسية التي تشكل جانبا مهما من التوجهات الفكرية المضمرة في تجارب الشخصيات الأدبية.

- أكد البحث موقف الجندي المتزن الموضوعي في الحكم والتقييم النقدي للأعلام، فهو لا يسقط الأديب بالكامل بل ينصفه كلما دعت الحاجة لذلك، كما هو الحال مع طه حسين وسلامة موسى، إذ ينظر للأديب بوصفه حاملاً لمشروع نهضوي أو تغريبي، ويسند نقده بمصادر متنوعة كالاقتباس من الكتب والمجلات وشهادات المعاصرين، مما يدلل على حرصه على التوثيق الدقيق والرجوع إلى أصول المصادر في تراجم الأدباء والكتّاب وانصافهم كما لم ينصفهم جيلهم، فمن حق هؤلاء النوابغ أن نعرّف بهم للأجيال و نؤرخ لهم عن طريق آثارهم.

- أظهر البحث أن موقف الجندي من الأدباء كان مبنياً على رؤيته الأيدولوجية، إذ صنفهم على وفق توجههم الفكري والثقافي والأيديولوجي في الأدب والنقد والتاريخ، وكان تصنيفه للشخصيات

الأدبية على ثلاثة اتجاهات رئيسة، أدباء الأصالة، وأدباء التغريب، وشخصيات التيار القومي، وبيان أثرهم في تقدم مشروع النهضة والمشهد الثقافي من عدمه.

المصادر والمراجع

* أحمد زكي باشا الملقب بشيخ العروبة حياته – آراؤه – آثاره أنور الجندي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.
* أعلام لم ينصفهم جيلهم، أنور الجندي، (د. ط) و (د. ت).
* أكذوبتان في تاريخ الأدب الحديث، أحمد لطفي السيد، طه حسين أنور الجندي، دار الأنصار، القاهرة، (د. ط) و(د. ت).
* خيري الهنداوي حياته وديوان شعره، يوسف عز الدين، مطبعة الشعب، بغداد، ط٢، ١٩٧٣.
* الزاهد أنور الجندي حياته - أدبه – فكره، د. حلمي محمد القاعود، دار البشير للثقافة والعلوم، ط١، ٢٠١٦.
* زكي مبارك دراسة تحليلية لحياته وأدبه، أنور الجندي، (د. ط) و(د. ت).
* الزهاوي شاعر الحرية، أنور الجندي، (د. ط) و(د. ت).
* شهادة العصر والتاريخ، أنور الجندي، دار القمري، ط١، ٢٠١٥.
* طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، دار الاعتصام، ط٢، ١٩٧٧.
* فن السيرة، إحسان عباس، دار صادر بيروت، دار الشروق عمان، ط١، ١٩٩٦.
* فيض الخاطر، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي،(د. ط)، ٢٠١٧.
* كتّاب العصر تحت ضوء الإسلام، أنور الجندي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، (د. ط) و(د. ت).
* مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، أنور الجندي، دار الإرشاد، بيروت، ط١، ١٩٦٧.
* من أعلام الفكر والأدب، أنور الجندي،(د. ط) و(د. ت).
* منهج العقاد في التراجم الأدبية، جابر قميحة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٠.

الدوريات والمجلات:

* أعلام وأصحاب أقلام، د. عبده بدوي، مجلة البيان الكويتية، العدد ٥٠، لسنة ١٩٧٠.